

روح المعاني

الخبر يجوز نسخه بالاتفاق كما يدل عليه كلام العضد وغيره وبعض من ادعى أن الآية محكمة وتوقف في قبول هذا الجواب ذهب إلى أن المراد من النسخ البيان وإيضاح المراد مجازاً كما مرت الإشارة إليه عند قوله تعالى : فاعفوا واصفحوا كأنه قيل : كيف يحمل ما في أنفسكم على ما يعم الوسواس الضرورية وهو يستلزم التكليف بما ليس في الوسع وإلا لا يكلف نفساً إلا وسعها واعترض هذا بأنه على بعده يستلزم أنه صلى الله عليه وسلم أقر الصحابة على ما فهموه وهو بمعزل عن مراد الله تعالى ولم يبينه لهم مع ما هم فيه من الاضطراب والوجل الذي جثوا بسببه على الركب حتى نزلت الآية الأخرى ويمكن أن يجاب على بعد بأنه لا محذور في هذا اللازم ويلتزم بأنه من قبيل إقراره صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين فسر الرؤيا بين يديه E وقال : أخطأت أم أصبت يارسول الله فقال له : أصبت بعضها وأخطأت بعضها ولم يبين له فيما أصاب وفيما أخطأ لأمر ما ولعله هنا ابتلاؤهم وأن يمحص ما في صدورهم وهذا على العلات أولى من حمل النسخ على التخصيص لا ستلزامه مع ما فيه وقوع التكليف بما لا يطاق كما لا يخفى وقيل : معنى الآية إن تعلنوا ما في أنفسكم من السوء أو لم تعلنوه بأن تأتوا به خفية يعاقبكم الله تعالى عليه ويؤول إلى قولنا أن تدخلوا الأعمال السيئة في الوجود ظاهراً أو خفية يحاسبكم بها الله تعالى أو إن تطهروا ما في أنفسكم من كتمان الشهادة بأن تقولوا لرب الشهادة عندنا شهادة ولكن نكتمها ولا نؤديها لك عند الحكم أو تخفوه بأن تقولوا له ليس في علمنا خبر ما تريد أن نشهد به وأنتم كاذبون في ذلك يحاسبهم به الله وأيد هذا بما أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في الآية الكريمة قال : نزلت في الشهادة وقيل : الآية على ظاهرها و ما في أنفسكم على عمومها الشامل لجميع الخواطر إلا أن معنى يحاسبكم يخبركم به الله تعالى يوم القيامة وقد عدوا من جملة معنى الحاسب العليم وجميع هذه الأقوال لا تخلو عن نظر فتدبر وارجع إلى ذهنك فلا إخالك تجد فوق ما ذكرناه أو مثله في كتاب .

وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به وأما تقديم الإبداء على الإخفاء على عكس ما في قوله تعالى قل إن تخفوا ما في أنفسكم أو تبدوه بهلمه الله فلما قيل : إن المعلق بما في أنفسكم هنا المحاسبة والأصل فيها الأعمال البادية وإما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالأعمال الخافية ولا يختلف الحال عليه تعالى بين الأشياء البارزة والكامنة بل لا كامن بالنسبة إليه سبحانه خلا أن مرتبة الإخفاء متقدمة على مرتبة الإبداء ما من شيء يبدو إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمرة في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلق علمه

بحالته الثانية فيغفر بالرفع على الاستثناء أى فهو يغفر بفضل له لمن يشاء أن يغفر له من عباده ويعذب بعدله .

من يشاء أن يعذبه من عباده وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرأ غير ابن عامر وعاصم ويعقوب بجزم الفعلين عطفاً على جواب الشرط وقرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بنصبهما بإضمار أن وتكون هي وما في حيزها بتأويل مصدر معطوف على المصدر المتوهم من الفعل السابق والتقدير تكن محاسبة فغفران وعذاب ومن القواعد المطردة أنه إذا وقع بعد جزاء الشرط فعل بعد واو أو فاء جاء فيه الأوجه الثلاثة وقد أشار لها ابن مالك .
والفعل من بعد الجزاء إن يقترب بالفاء أو الواو بتثقيب قمن